

بريطاني في كردستان قد زار المنطقة الكوردية في اب ١٩٤٤، وبعد عودته الى بغداد التقى بوزيري الخارجية والداخلية العراقي وسواهما، وكتب تقريراً عن جولته، واقترح فيها على المسؤولين العراقيين عقد اتفاق غير رسمي مع الشيخ احمد البارزاني بصورة مؤقتة، قائلاً: ان ذلك سيحفظ ماء الوجه نوعاً ما، كما انه سيتمنح الحكومة الوقت اللازم للبدء باعادة تنظيم الجيش، وفي تقرير اخر كتبه الكولونيل (لاين) وهو مستشار سياسي اخر للقوات البريطانية في العراق، تمت الاشارة فيه الى ان الوضع في بعض مناطق لوائي اربيل والموصل لا يبعث على الرضى، وذكر لاين ان الكورد يشعرون بخيبة الامل لانه رغم التأكيدات الصادرة عن رئيس الوزراء عندما شكل حكومته، فانه لم يقم بشيء لتحسين الادارة في المناطق الكوردية، او التخفيف من الفقر والعوز للذين نجما عن سوء الادارة في الماضي^(١)، وبناء على هذا التقرير كتب (طومسون) القائم بالاعمال البريطاني في العراق رسالة الى وزير الخارجية العراقي مؤكداً له ضرورة القيام بإصلاحات في كردستان اذا ما اريد تجنب حدوث وضع بالغ الخطورة في الأولوية الكوردية، قائلاً: بأن الوضع ليس خطراً فقط بل سيسبب ضرراً مادياً ومعنوياً للدولة العراقية في حال السماح له بالاستمرار، ورأى ان هناك حاجة للقيام بإجراءات اقتصادية عاجلة وتوزيع المواد الغذائية والحبوب و الأقمشة بكميات وفيرة على المناطق الفقيرة، مع خطة شاملة لاعادة تطوير القرى الكوردية من خلال تقديم بذور الحبوب والقروض والتي من شأنها ازدياد قطعان المواشي التي كان عددها قد انخفض كثيراً^(٢).

بدأت العلاقات تتوتر يوماً بعد يوم بين الحركة الوطنية الكوردية والحكومية العراقية، حتى ان بعض المشاكل كادت ان تؤدي الى اندلاع القتال مجدداً، ففي تشرين الاول ١٩٤٤ اراد وزير الداخلية مصطفى العمري استخدام القوة العسكرية ضد البارزانيين عندما وصله خبر مفاده ان البارزانيين اعاقوا بناء المخافر في منطقتهم، غير ان السفارة البريطانية في بغداد تدخلت على الفور وحالت دون وقوع القتال مجدداً، واراد السفير البريطاني كورنواليس ان يوضح لوزير الداخلية سبب اعتراضه على استخدام القوة العسكرية، حيث اخبره ان الحرب - يقصد الحرب العالمية الثانية- لم تنته بعد، و اضاف ان على الحكومة العراقية كحليفة لبريطانيا ان تخبره باي تطورات قبل الاقدام على أي خطوة، كما نصح بابقاء الاتصالات مع

(١)

(٢)

يتضح مما سبق ان الحكومة البريطانية كانت حريصة على عدم تجدد القتال وتنتظر انتهاء الحرب العالمية الثانية، وبهذا الصدد يقول مسعود البارزاني: "اما من الناحية الاستراتيجية فان السياسة البريطانية كانت ترمي الى انهاء الثورة بالاستجابة لبعض المطالب حتى تنتهي الحرب وينجلي الموقف الدولي اكثر ويصبح بمقدور بريطانيا التدخل عسكرياً لصالح العراق للقضاء على البارزاني"^(٢)، ومع ذلك فإن بعض المسؤولين البريطانيين في العراق رأوا أنه ينبغي في حال تدهور الاوضاع في كردستان أو تعرض الجيش العراقي لانتكاسة أن يقوموا بإتخاذ إجراءات عسكرية دفاعية على غرار تلك التي اتخذوها في نهاية سنة ١٩٤٣ عندما أرسلوا قواتهم الى منطقة ديانا^(٣)

لقد حاول البارزاني ان يوضح للبريطانيين وفي مناسبات عديدة أن مسؤولية تأزيم الوضع في كردستان تقع على عاتق الحكومة العراقية التي لم تقم باي شيء ايجابي نحو الكورد، فخلال لقائه بأحد كبار الضباط البريطانيين في كردستان ويدعى (مالكولم) في قرية سيده كان في ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٤، اكد البارزاني انه صار "لايثق بالعرب بعدما قرروا تعريض الكورد للاستبداد والظلم" خصوصاً بعد عدم تطبيق الاصلاحات التي وعدت حكومة نوري السعيد السابقة بتنفيذها، و اضاف البارزاني ان "هدف العرب ليس السلام" وان الحكومة العراقية لاتزال مستمرة في القيام بحملة اعتقالات تعسفية في صفوف الكورد دون اجراء محاكمات نزيهة، كما انها تنتهج سياسة تمييز واضحة بين المناطق الكوردية والمناطق العربية، حيث اشار الى ان الحكومة "تقوم بمنح شيوخ العرب في جنوب العراق مساعدات لشراء البذور والمكائن الزراعية، فانها في الوقت نفسه لا تمنح نفس الشيء للكورد"، واستمر البارزاني قائلاً: "ان الكورد يرغبون ان يعيشوا بسلام وامن في بلادهم، وانهم لن يحاربوا الا اذا اجبروا على ذلك"، وفي رده على كلام البارزاني، اشار مالكولم الى ان مسألة العلاقات بين الكورد والعرب هي مسألة ذات شأن داخلي، وان أية مشكلة يجب ان تحل بين الكورد والعرب

(١)

(٢) البارزاني، ثورة ١٩٤٣ - ١٩٤٥، ص ٣٧.

(٣)

انفسهم، وبيّن للبارزاني انه ينبغي عليه ان يقوم بتقديم شكاويه الى الحكومة العراقية اولاً، باعتبار ان بريطانيا اعطت العراق الاستقلال، ووضح ان البريطانيين لا يريدون ان يضحوا بجميع مواقعهم الجيدة في منطقة الشرق الاوسط من اجل الكورد^(١).

وفي الوقت ذاته، ورغم تشدد موقف حكومة الپاچهچي، فان البارزاني لم يتخلّ عن مطالب الكورد القومية، ففي ١٧ تشرين الاول ١٩٤٤، أرسل كتاباً الى وزير الداخلية مصطفى العمري، بسط فيه مطالب الحركة القومية الكوردية^(٢)، وذكر الجنرال (رنتون) اثناء حضوره (مجلس حرب) عقد في ٦ كانون الاول ١٩٤٤ برئاسة الوصي عبدالاله وبحضور كل من وزراء الداخلية والدفاع والمالية ورئيس اركان الجيش، ان البارزاني يرغب حقاً في السلام مع الحكومة بشرط ان تستجيب لمطالبه التي تتضمن اربعة نقاط رئيسية وهي:

١- تنفيذ الوعود التي تعهد بها رئيس الوزراء نوري السعيد في الربيع بخصوص

تحسين الادارة في المنطقة الكوردية.

٢- اطلاق سراح السجناء السياسيين والضباط الكورد.

٣- تعيين مفوض كوردي في بغداد له حق الاعتراض على أي اجراء حكومي يؤثر في

كوردستان.

٤- تقديم منحة الى البارزاني بقيمة (١٤٤,٠٠٠) جنيه استرليني يفترض انها لاجل

قروض زراعية^(٣).

مهما يكن الامر، فان المفاوضات لم تسفر عن نتيجة ايجابية، ولم تجد دبلوماسية

الاحتواء البريطانية نفعاً مع سياسة المماثلة العراقية ازاء القضية الكوردية مما اضطر

البارزاني الى ان يوجه في اواخر كانون الثاني ١٩٤٥ إنذاراً الى الحكومة، ومما جاء فيه "بلغوا

الحكومة بأننا سنعطي حداً لاعمالها و سنستقل في محلنا و سنبقى أحد الجهتين في هذه

المنطقة"، وكرر هذا الانذار الرئيس الاول الركن عزت عبدالعزيز^(٤)، الذي كان قد التحق مع

(١)

(٢) مصطفى، المصدر السابق، ص ٦٥.

(٣)

(٤) مصطفى، المصدر السابق، ص ٧٠.

بعض رفاقه من ضباط الارتباط بالحركة الكوردية بعدما قررت الحكومة في ١٧ مايس ١٩٤٤ إلغاء استخدامهم و أعادتهم إلى الجيش^(١). المهم في الأمر، أن التطورات السابقة أدت بالنتيجة إلى تجدد القتال في آب ١٩٤٥.

(١) المصدر نفسه، ص ٦١ - ٦٢.

الفصل الرابع

الحركة القومية الكوردية التحررية في كردستان العراق بعيد الحرب العالمية الثانية

- تصاعد التوتر بين الحكومة العراقية و الحركة القومية الكوردية.
- استئناف الانتفاضة الكوردية ووقائعها.
- البدء بالعمليات العسكرية.
- موقف التنظيمات السياسية الكوردية من الانتفاضة.

تصاعد التوتر بين الحكومة العراقية و الحركة القومية الكوردية:

بحلول سنة ١٩٤٥ و بروز دلائل حول قرب انتهاء الحرب العالمية الثانية، ازداد التوتر في العلاقات بين الحركة القومية الكوردية و الحكومة العراقية، بفعل عدة عوامل لعبت دورها في تصعيد الموقف بين الجانبين، منها وصول معلومات من حزب هيوا إلى البارزاني بخصوص نية بعض القطعات العسكرية في شن هجوم على منطقة بارزان في أوائل شهر آذار ١٩٤٥، مما سبب قلقاً لدى القادة الكورد الذين شرعوا في اتخاذ الاحتياطات اللازمة في حال وقوع الهجوم الحكومي^(١).

و لكي يطمئن البارزاني بشأن تحركات القوات العراقية، بعث السفير البريطاني كورنواليس في ٢٠ آذار ١٩٤٥ رسالة إليه قلل فيها من مخاوفه مبيناً أن الجيش العراقي سيقوم بأجراء تدريبات في المنطقة الكوردية، و حثه على الالتزام بالسلام مع الحكومة العراقية، كانت الرسالة- في الحقيقة- بمجملها رسالة مبطنة، إلا أنها تظهر حقيقة الموقف البريطاني من الحقوق القومية الكوردية، و مع هذا تجمع في دفتيها الوعود المعسولة الغامضة و الوعيد و التهوين من شأن الحركة الكوردية، فبعد ديباجة المجاملة الدبلوماسية يقول كورنواليس: "ان مسألتكم أصبحت على وشك الحل اكثر من قبل" و لاندري ان كان يقصد هنا قانون العفو العام الذي صدر لاحقاً في ٢٥ نيسان ١٩٤٥، أم شيئاً آخر يقصد منه تهوين الأمر و تهدئة الوضع، كما طلب من البارزاني ان يعيش هو و شعبه "كمواطنين حياة مستقلة آمنة" و ان يتجنب ما اسماه بـ "التهديدات و الاضطرابات"^(٢). هكذا نظر كورنواليس إلى الحركة الكوردية، و كأن الشعب الكوردي ليست لديه مطالب قومية، يعرفها هو و غيره من الساسة البريطانيين، ثم يضيف لينبه البارزاني إلى مسالة طالما أرعبت الإنكليز و هي تحاشي أية فكرة حول استقلال الكورد فيقول " عليكم أن تنظروا إلى المستقبل لا إلى الماضي و ان تتأكدوا من أنكم و شعبكم يجب أن ان تعيشوا بأمان (كفلاحين و طنيين ضمن حدود العراق) " ، كما أشار في رسالته إلى أن المناورات و التمرينات العسكرية التي يقوم بها

(١) البارزاني، البارزاني... ثورة ١٩٤٣-١٩٤٥، ص ٥٨ " اردلان، المصدر السابق، ص ٧٧.

(٢)

الجيش العراقي ليس لها علاقة بالثورة، حيث أكد قائلاً "أن هذه القطعات سوف لن تكون في أي مكان قريبة منكم"^(١)، إلا انه ظهر بعدئذٍ أن تلك المناورات العسكرية كانت مقدمة للهجوم المتوقع لقمع الحركة الكوردية، وبعلم من بريطانيا نفسها. وقد المح كورنواليس إلى ذلك بشكل غير مباشر وبأسلوب دبلوماسي ملتوٍ وغامض بقوله: "أن التعاون بين القوات البريطانية والقوات العراقية تشكل بحد ذاتها علاقات ودية راسخة بيننا وبين حلفائنا العراقيين (وليس لها طابع أو مغزى سياسي)"^(٢).

وحاول كورنواليس في ختام رسالته تلك الربط بين الانتفاضة وبين أثرها على المصالح البريطانية في العراق بقوله: "أننا لانزال نحارب عدوين شريرين عنيدين يقصد ألمانيا وإيطاليا ويجب (أن نحشد كل الجهود من اجل هذه الغاية) ومن يساعدنا بهذا العمل (هم أصدقاؤنا الحقيقيون) ومن يعمل على أعاقتنا عن ذلك (هم أعداؤنا)"^(٣).

يفهم من رسالة السفير البريطاني أن الكورد لم تكن لهم مطالب قومية أو انه يناور على مطالبهم القومية المتواضعة، ويطلب منهم أن يعينوا دولته على قهر ألمانيا وإيطاليا، اللتين هما بالأصل كانتا على وشك الانهيار والاندحار في الحرب، وعنده، وهو الاستعماري العتيد، بان المصلحة البريطانية هي التي تقرر وعلى رسلها وهواها من هم الأصدقاء ومن هم الأعداء، إنها معادلة سياسية بريطانية، ويريد كورنواليس فيها، بان يكون الكورد هم الذين يحلون لغزها وان يكونوا الضحية^(٤).

ولم يكتف كورنواليس بذلك بل أرسل كذلك ممثلاً عنه للقاء البارزاني وبالفعل التقى ذلك الممثل وهو الكابتن ستوكس بالبارزاني في قرية (شاوراو) في ٢٥ اذار ١٩٤٥، وخلال اللقاء طلب ستوكس من البارزاني عدم التصدي للجيش العراقي في حال قيامه بالتدريبات

(١)

(٢)

(٣)

ومن المفيد أن نذكر هنا أن كورنواليس كان قد بعث في ١٩ اذار برسالة مماثلة الى وزير خارجية بريطانيا أيدين. ينظر نصها في:

(٤) الحفو ويحيى، المصدر السابق، ص ٦٤.

العسكرية، باعتبار انه ليس هناك غرض سياسي أو عسكري وراء تلك التدريبات، وجدد طلب السفير البريطاني بضرورة إطاعة أوامر الحكومة العراقية والتفاهم معها، لكن البارزاني رد على ممثل السفارة البريطانية قائلاً بأنه سوف يطيع أوامر الحكومة بشرط تنفيذ ما تم الاتفاق عليه مع السلطات العراقية، وابدأ شكوكه حول الغرض من تدريبات الجيش العراقي^(١).

كان من المقرر إجراء تلك التمرينات العسكرية والتي أطلق عليها اسم تمرين (التعارف والصدقة) خلال شهر نيسان ١٩٤٥ في مناطق دهوك، رواندوز، اربيل والسليمانية، وتقرر أن تشترك فيها الفرقة الثانية من الجيش العراقي إلى جانب فوجين من المشاة البريطانيين، وقد أشيع أن هذه المناورات تستهدف حشد القوات للهجوم على منطقة بارزان، وأرادت السلطات الحكومية أن تقلل من مخاوف الناس في المناطق الكوردية، حيث طلبت وزارة الداخلية من متصرف لواء الموصل بزيارة الاقضية الكوردية التابعة للواء المذكور لطمأنة الأهالي بشأن الغاية من تلك التدريبات العسكرية، كما كلف متصرف اربيل بالمهمة نفسها^(٢).

إن تكليف المتصرفين بهذه المهمة يدل على شعور السلطات الحكومية وإدراكها بوجود تعاطف في المناطق الكوردية مع البارزاني ومراقبة الناس في تلك المناطق واهتمامهم بالخطوات التي كانت تتبعها الحكومة تجاه منطقة بارزان.

من جهة أخرى كان لاستمرار الحكومة في تجاهل ما اتفق عليه في شباط ١٩٤٤ إثر انتفاضة تشرين الأول ١٩٤٣، أثره في خلق جو من التوتر في المنطقة الكوردية، فضلاً عن مطالبة الحكومة بنزع سلاح الثوار، وإعادة الأسلحة التي كان المنتفضون قد استولوا عليها خلال الانتفاضة وقيامها بفرض حصار اقتصادي على منطقة بارزان^(٣) بناءً على نصيحة بريطانية بعزل المنطقة اقتصادياً^(٤)، وقد برر البريطانيون هذا الحصار وعدم تقديم المساعدات لمنطقة بارزان، بحجة أن أوروبا بحاجة إلى مثل هذه المساعدات الاقتصادية ففي رسالة بعث بها الميجر ارجي. ولسن وكيل المشاور السياسي للقوات البريطانية في المنطقة

(١) البارزاني، ثورة ١٩٤٣ - ١٩٤٥، ص ٦٠-٦١ " اردلان، المصدر السابق، ص ٧٥-٧٦.

(٢) الطائي، المصدر السابق، ص ١٣٥-١٣٦.

(٣) حمزة عبدالله، ثورة بارزان، "المثقف" (مجلة)، العددان (١١-١٢)، بغداد، آب أيلول ١٩٥٩، ص ٢٥-٢٨.

(٤)